﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 1 - 4]

❁ مناسبة مطلع السورة لما قبلها:

الانتقال من ذكر النعم إلى تفصيلها وبيانها بجمع صفات الكمال والجمال

لمّا أُمر ﷺ آخر الضُّحى بالتَّحديث بنعمة الله الَّتي أنعمها عليه؛ ناسبَ تفصيلَ أهمِّها في هذه السّورة، ولمّا كانت سَعَةُ الصَّدر بالعلم والحكمة هي الجمال باجتماع المحاسن، وكان ذلك مع حمل أعظم النَّكد، وكان الجمال بجمع المحاسن لا يكمُل إلّا إذا جُمع إلى الجمال الجلالُ بانتفاء الرَّذائل، بيَّن تعالى ذلك، فقال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، ولمّا شرَّفه في نفسه بالكمال الجامع للجلال إلى الجلال، وكان ذلك لا يصفو إلّا مع الشَّرف عند النّاس؛ قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَشْرَحْ﴾: (شرح) أصل يدلُّ على الفتح والبيان، ومن ذلك يقال: شرحت الكلام، إذا بيَّنته، واشتقاقه من تشريح اللَّحم[2]، وكلُّ سمين من اللَّحم ممتدٍّ فهو شريحة[3]، والشَّرح: السَّعة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: 22]، أي: وسَّعه فاتَّسع لقول الخير[4]، وكلُّ ما فُتح من الجواهر فقد شُرح أيضًا[5].

2) ﴿صَدْرَكَ﴾: (صدر) أصل يدلُّ على جارحة الإنسان وغيره[6]،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 115 - 120.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شرح).
(3) الرازي، مختار الصحاح: (شرح).
(4) الخليل، العين: (شرح).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (شرح).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدر).

والصَّدر: أعلى مقدَّم كلِّ شيء وأوَّله، حتَّى إنَّهم ليقولون: صدر النَّهار واللَّيل، وصدر الشِّتاء والصَّيف[1]، وجمع الصَّدر: صُدور، قال الله ﷻ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: 10][2]، والصِّدار: ثوب يغطّي الرَّأس والصَّدر[3]، ومعنى شرح الصَّدر: فتحه وفسحه وتليينه[4].

3) ﴿وَوَضَعۡنَا﴾: (وضع) أصل يدلُّ على الخفض للشَّيءِ وحطِّه[5]، ومن ذلك يقال: وضعت المرأة ولدها، والدّابَّة تضع في سيرها، وهو سير دون سير[6]، والموضع: مكان الوضع، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: 46]، ويقال: وضعت الحِمل فهو موضوع، قال تعالى: ﴿وَأَكۡوَابٌ مَّوۡضُوعَةٌ ۝١٤﴾ [الغاشية: 14][7]، والوضيعة: واحدة الوضائع، وهي أثقال القوم، والمواضعة: أن تواضع أخاك أمرًا فتناظره فيه، والتَّواضع: التَّذلُّل[8]. ومعنى ﴿وَوَضَعۡنَا﴾: حططنا[9].

4) ﴿وِزۡرَكَ﴾: (وزر) أصل يدل على الثقل في الشيء، والوِزر: حمل الرَّجل إذا بسط ثوبه، فجعل فيه المتاع وحمله[10]، وسُمّيَ الذَّنب وِزرًا؛ تشبيهًا بالجبل في ثقله؛ لأنَّه يُثقل صاحبه[11]، والوِزر أيضًا: السَّلاح، والوزير الموازر؛ لأنَّه يحمل عنه وِزره، أي: ثقله[12]، وجمع الوِزر: أوزار، قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام: 31]، أي: أثقالَهم، ويقال: وضعت الحربُ أوزارها، إذا وضع القوم السلاح عنهم[13]. ومعنى ﴿وِزۡرَكَ﴾: ذنبك، أي: وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهليَّة؛ لأنَّه كان ﷺ في كثير من مذاهب قومه، وإن لم يكن عَبَدَ صنمًا ولا وثنًا[14].

(1) ابن منظور، لسان العرب: (صدر).
(2) الراغب، المفردات: (صدر).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (صدر).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 104.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وضع).
(6) الزمخشري، أساس البلاغة: (وضع).
(7) الراغب، المفردات: (وضع).
(8) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح: (وضع).
(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 105.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وزر).
(11) السمين، عمدة الحفاظ: (وزر).
(12) الرازي، مختار الصحاح: (وزر).
(13) ابن دريد، جمهرة اللغة: (وزر).
(14) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 105.

5) ﴿أَنقَضَ﴾: (نقض) أصل يدلُّ على نكث شيء، ومن ذلك يقال: نقض الحبلَ والبناءَ والعهدَ، والنِّقض: المنقوض[1]، ومن نقض الحبل والعقد استُعير نقض العهد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: 56][2]، والمناقضة في القول: أن يتكلَّم بما يتناقض معناه، وأنقض الحِملُ ظهره: أثقله، والانتقاض: أن يعود الجُرح بعد البُرء[3]. ومعنى ﴿أَنقَضَ﴾: أثقل[4].

6) ﴿وَرَفَعْنَا﴾: (رفع) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الوضعِ، يقال: رفعته فارتفع[5]، وبرق رافع، أي: ساطع، والرِّفعة نقيض الذِّلَّة، والرَّفعُ يقالُ تارةً في الأجسامِ الموضوعةِ إذا أعليتَها عن مقرِّها، وتارةً في البناءِ إذا طوَّلتَهُ، وتارةً في الذِّكرِ إذا نوَّهتَهُ، وتارةً في المنزلةِ إذا شرَّفتَها[6]، ورفع الزَّرع: أن يُحمل بعد الحصاد إلى البيدر[7].

7) ﴿ذِكْرَكَ﴾: (ذكر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ النِّسيانِ، ومن ذلك: الذِّكر، وهو الحفظ للشَّيء، وجريُ الشَّيء على لسانك[8]، ويقالُ الذِّكر أيضًا لحُضورِ الشَّيءِ القلبَ أوِ القولَ، ولذلكَ قيلَ: الذِّكْرُ ذِكْرانِ: ذِكْرٌ بالقلبِ، وذِكْرٌ باللِّسانِ[9]، ويقال: ما زال منّي على ذُكْرٍ، أي: لم أنسَهُ[10]. وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: 63] معناه: ادرُسوا ما فيه، واستذكر الرَّجلُ: ربط في إصبعه خيطًا ليذكُر به حاجتَهُ[11]، ومعنى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: نوَّهت باسمك، فلا ذُكرتُ إلّا ذُكرتَ معي في الأذان والإقامة والتشهُّد وغيرها[12].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمَّد ﷺ، مذكِّرًا له بآلائه عنده، وإحسانه إليه، حاضًّا

(1) ابن فارس، مجمل اللغة: (نقض).
(2) الراغب، المفردات: (نقض).
(3) الخليل، العين، والرازي، مختار الصحاح: (نقض).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 105.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (رفع).
(6) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (رفع).
(7) الجوهري، الصحاح: (رفع).
(8) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(9) الراغب، المفردات: (ذكر).
(10) الأزهري، تهذيب اللغة: (ذكر).
(11) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (ذكر).
(12) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 497، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 106.

تشريف النَّبيِّ بتخفيف الأثقال وتفخيم الشَّأن

له بذلك على شكره: ألم نوسِّع لك صدرك للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقِّ، فنليِّن لك قلبك، ونجعله وعاءً للحكمة، وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيّام الجاهليَّة الَّتي كنت فيها، ورفعنا لك ذكرك، فلا أُذكر إلا ذُكرتَ معي[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الاستفهام ودلالته:

تقرير العالم منّةٌ حاضرة وشرحُ صدر النّبيّ أمر ظاهر

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ استفهام تقريريٌّ؛ لأنَّ إنكار النَّفي إثبات، والمعنى: قد شرحنا لك صدرك، وفي ذلك إيذان بأنَّ ثبوته من الظُّهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير (بلى)[2]. وهذا التَّقرير مقصود به التَّذكير؛ لأجل أن يراعيَ هذه المنَّة عندما يخالجه ضيقُ صدر ممّا يلقاه من أذى قومٍ يريد صلاحهم وإنقاذهم من النّار، ورفع شأنهم بين الأمم؛ ليدوم على دعوته العظيمة نشيطًا غير ذي أسف ولا كمد[3].

بلاغة الاستعارة باستعمال مفردة الشَّرح:

التّخلية قبل التّحلية وشرح الصدرِ تخلية قُبيل تلقّي الوحي

حقيقة الشَّرح: فصل أجزاء اللَّحم بعضها عن بعض، ومنه الشَّريحة للقطعة من اللَّحم، والتَّشريح في الطبِّ، ويُطلق على انفعال النَّفس بالرِّضا بالحال المتلبَّس بها، وهو من المجاز الَّذي يساوي الحقيقة؛ لأنَّ الظّاهر أنَّ الشَّرح الحقيقيَّ خاصٌّ بشرح اللَّحم، وأنَّ إطلاق الشَّرح على رضا النَّفس بالحال أصله استعارة ناشئة عن إطلاق لفظ الضّيق وما تصرَّف منه على الإحساس بالحزن والكمد، قال تعالى: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ [هود: 12]، فجُعل في قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ إزالة ما في

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 493 - 494.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 172.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 408.

النَّفس من حزن مثل شرح اللَّحم، وهذا الأنسب بقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾[1]، كما أنَّ في المفردة إيماءً إلى شرحٍ مقصودٍ بإخراج كدرٍ وتخليةٍ من عسرٍ؛ ليكون الصدرُ جاهزًا لتلقّي الوحي، فالتّخلية قبل التّحلية.

دلالة إسناد الأفعال إلى نون العظمة:

عظمة شأن الشَّرح والوضع والرَّفع من عظمة الصّانع

أُسند فعل الشَّرح إلى نون العظمة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾؛ لأنَّ عظمة المنعِم تدلُّ على عظمة النِّعمة، فدلَّ ذلك على أنَّ ذلك الشَّرح نعمة لا تصل العقول إلى كُنه جلالتها[2]، والمعنى: ألم نشرح لك صدرك شرحًا يليق بعظمتنا[3]، وكذلك إسناد ﴿وَوَضَعۡنَا﴾ فيه تعظيم للوضع، والمعنى: حططنا وأسقطنا وأبطلنا حطًّا لا رجعة له ولا فيه بوجهٍ بما لنا من العظمة[4]، ومثله إسناد ﴿وَرَفَعۡنَا﴾ فيه تشريف وتعظيم لرفع الذكر، والمعنى: وضعنا بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة[5].

دلالة التعبير باللّام:

شرح الصَّدر تكريمٌ لشأنِ النَّبيِّ ﷺ

اللام في قوله: ﴿لَكَ﴾ لام التَّعليل، وهو يُفيد تكريمًا للنَّبيِّ ﷺ بأنَّ الله فعل ذلك لأجله[6]. وفيه تنبيه على أنَّ منافع الرِّسالة عائدة إليه ﷺ، كأنَّه تعالى قال: إنَّما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي[7].

فائدة الإطناب بذكر ﴿لَكَ﴾ دون الاستغناء عنها:

الانتقال من الإجمال إلى التفصيل بذكر المبهم بقصد التشويق

آثر النَّظم الكريم ذِكْر الجارّ والمجرور ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾، دون أن يقول: (ألم نشرح صدرك)،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 408.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 206.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 115.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 117.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 120.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 409.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 206.

مع وضوح الكلام وظهوره؛ وذلك لسلوك طريقة الإبهام بغرضِ التَّشويق؛ فإنَّه لمّا ذكر فعل ﴿نَشْرَحْ﴾ علم السّامع أنَّ ثمَّ مشروحًا، فلمّا وقع قوله: ﴿لَكَ﴾ قويَ الإبهامُ، فازداد التَّشويق؛ لأنَّ ﴿لَكَ﴾ يفيد معنى: شيئًا لأجلك، فلمّا وقع بعده قوله: ﴿صَدْرَكَ﴾ تعيَّن المشروح المترقَّب، فتمكَّن في الذِّهن كمالَ تمكُّن[1].

غرض تقديم ﴿لَكَ﴾ ودلالته:

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿لَكَ﴾ على المفعول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ للإيذان من أوَّل الأمر بأنَّ الشَّرح من منافعه ﷺ ومصالحه؛ مسارعةً إلى إدخال المسرَّة في قلبه ﷺ، وتشويقًا له إلى ما يعقُبه ليتمكَّن عنده وقت وُرودِه فضْلَ تمكُّن[2]، مع ما فيه من الامتنان العظيم بأنَّ الشّرح كان له ﷺ ابتداءً على وجه الخصوص، دون طلبٍ سابقٍ، بخلاف ما كان لموسى ﷺ فإنَّه قد شرح صدره بدعائه وطلبه.

شرحُ صدر سيّد الخلقِ لم يكن ابتداءً لأحدٍ سواه من سائر الخلق

بلاغة التَّعبير بالصَّدر دون القلب:

ذُكِرَ الصَّدر دون القلب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ لأنَّ محلَّ الوسوسة هو الصَّدر على ما قال: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: 5]، فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشَّرح، فلا جرم خصَّ ذلك الشَّرح بالصَّدر دون القلب[3]. وللمبالغة أيضًا؛ إذ المراد شرح القلوب، لكنَّ اتِّساع الشَّيء يتبعه اتِّساع ظرفه، أو اتِّساع الظَّرف يستلزم اتِّساع مظروفه[4]، فالصدر وعاء القلب، فبذكره يُعلم ذكر القلب، فيشمل الشرح القلب والصدر.

الصدر وعاء القلب فبشرحه يُشرح القلب

(1) الزمخشري، الكشاف: 5/ 321، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 656، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 409 - 410.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 172، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 388.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 206، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 562.

(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 327.

نوعُ الإضافة ودلالتها:

إضافة لفظ الصدر إلى الضمير ﴿صَدْرَكَ﴾ بمعنى اللام، وتفيد الاختصاص، فهو صدر النبيّ ﷺ فحسب، ولا يكون لغيرِه من سائر البشر، وأمّا مدّعيه لنفسه فكاذب.

بلاغة الكناية ودلالاتها:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ كناية عن الإنعام على النبي ﷺ بما كان له من تلك التّوطئة التي سيعقبها الخير العميم، وفيه إيماء إلى تمام الرّضا الربّاني، والإشارة إلى "ما تطمح إليه نفسه الزَّكيَّة من الكمالات، وإعلامه برضا الله عنه، وبشارته بما سيحصل للدّين الَّذي جاء به من النَّصر"[1].

الإيماء إلى الرضا الربّاني لتحقيق النصر الصّمداني

دلالة واو العطف:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ للعطف، والجملة عطف على مدلول جملة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ من الإثبات، والمعنى: قد شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك[2]. وهذه منة جديدة من الله تعالى على نبيِّه ﷺ.

وَضْعُ وِزْرِ النَّبيِّ ﷺ من جملة نعم الله عليه

توجيه عطف الماضي على المضارع المنفي:

جاء التّعبير بصيغة الماضي لفعلي ﴿وَوَضَعْنَا﴾ و﴿وَرَفَعْنَا﴾، وعُطف على فعل ﴿نَشْرَحْ﴾ بصيغة المضارع؛ لأنَّ (لم) قلبت زمن الحال إلى المضيِّ، فصورته مضارع لكنّه في المعنى ماضٍ، فعُطف عليه الفعلان بصيغة المضيِّ لموافقة المعنى؛ ولأنَّهما داخلان في حيِّز التَّقرير، وفي المضيِّ إشارة إلى تحقُّق هاتين المنَّتين، وذلك أدعى للشُّكر والامتنان.

وضع الوِزر ورفع الذِّكر نعمتان متحقِّقتان

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 408.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 172.

بلاغة التعبير بمفردة الوضع:

تصوير الوزر الموضوع عن النبيِّ ﷺ

آثر النظم الكريم التّعبير بمفردة الوضع في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾؛ لدلالته على الحطِّ الكامل للوِزر، فيفيد زيادة التَّشريف والامتنان، فهو إزالة كاملة للوزر، وليس تخفيفًا منه، وفي ذلك ما لا يخفى من الإشارة إلى اعتناء الله تعالى بأمر نبيِّه ورفع الحرج عنه، وفيه إشعارٌ بثقل الوزر الموضوع، وفيه تشبيه الوزر بالشيءِ الثقيل الذي يوضع، على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة لفظ الوضع؛ بغرض تصوير المعنى.

دلالة التّعبير بحرف (عن):

(عن) في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ للمجاوزة، والمعنى: حططنا وأسقطنا وأبطلنا حطًّا لا رجعة له ولا فيه بوَجهٍ بما لنا من العظمة مجاوزًا عنك وزرك[1].

غرض تقديم ﴿عَنكَ﴾:

التّشويق إلى المؤخّر والإشعار باختصاص الوضع عنه

قدِّم ﴿عَنكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ على المفعول الصريح مع أنَّ حقَّه التَّأخُّر عنه؛ للقصد إلى تعجيل المسرَّة والتَّشويق إلى المؤخَّر، ولأنَّ في وصفه - وهو ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ - نوعَ طول، فتأخير الجارِّ والمجرور عنه مُخِلٌّ بتجاوب أطراف النَّظم الكريم[2]. ولا يخلو التقديم من الدِّلالة على الاختصاص، أي: عنك لا عن غيرك.

بلاغة الإطناب بذكر القيد:

وضع الوِزر من دواعي السرور عند سيدِ البشر

آثر النّظم الكريم ذكر ﴿عَنكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾، دون الاكتفاء بأن يُقال: (ووضعنا وزرك)؛ وذلك لسلوك طريقة الإبهام؛ للتَّشويق؛ فإنَّه لمّا ذكر فعل (وضعنا) علم السّامع أنَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 117.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 172، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 388.

ثمَّ موضوعًا، فلمّا وقع قوله: ﴿عَنكَ﴾ قويَ الإبهامُ، فازداد التَّشويق؛ لأنَّ ﴿عَنكَ﴾ يفيد معنى: شيئًا عنك، فلمّا وقع بعده قوله: ﴿وِزْرَكَ﴾ تعيَّن الموضوع المترقَّب، فتمكَّن في الذِّهن زيادة تمكُّن[1].

نكتة الإضافة في ﴿وِزْرَكَ﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿وِزْرَكَ﴾ لاميَّة، فتفيد تعظيم المنَّة والتَّشريف، ببيان أنَّ الموضوع وزره لا وزر غيره، وذلك أدعى للشُّكر، وأدلُّ على الامتنان.

بلاغة الكناية والتَّمثيل:

تمثيل المعاني بأثواب الألفاظ أنقى في بيان المراد من الكلام المباشر

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ كناية عن عصمته من الذُّنوب وتطهيره من الأدناس، عبِّر عن ذلك بالحطِّ على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك، كما يقول القائل: رفعت عنك مشقَّة الزّيارة، لمن لم يصدُر منه زيارة، على طريق المبالغة في انتفاء الزّيارة منه[2].

ويحتمل أن يكون الكلام تمثيلًا لحال إزالة الشَّدائد والكروب بحال من يحطُّ ثقلًا عن حامله؛ ليريحه من عناء الثّقل، والمعنى: أنَّ الله أزال عنه كلَّ ما كان يتحرَّج منه من عادات أهل الجاهليَّة الَّتي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من الزَّكاة والسُّموِّ، ولا يجد بدًّا من مسايرتهم عليه، فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرِّسالة، وكذلك ما كان يجده في أوَّل بعثته من ثقل الوحي، فيسَّره الله عليه بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ [الأعلى: 6] إلى قوله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: 8][3].

(1) الزمخشري، الكشاف: 5/ 321، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 656، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 409 - 410.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 500.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 410.

دلالة التَّعبير بالاسم الموصول:

نقض الظَّهر علَّة وضع الوِزر

جاء التّعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾؛ للتَّوصُّل بما في حيِّز الصِّلة - وهو نقض الظَّهر - إلى بيان علَّة الحكم، وهو وضع الوزر، وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّه تعالى لم يُسلِمْ نبيَّه ﷺ للمشقَّة والحرج.

نكتة التَّعبير بالماضي:

جيء بصيغة الماضي ﴿أَنقَضَ﴾؛ للتَّنبيه على تحقُّق النَّقض ووقوعه، فأفاد الكلام بمجموعه تحقُّق وضع الوزر بعد تحقُّق نقضِه للظَّهر، وذلك أثبت في الامتنان، وألذُّ للمخاطَب.

بلاغة إسناد النَّقض إلى الوِزر:

تصوير المعاني وتشخيص الدّلالات أرسخ في الأذهان معنًى

إسناد فعل ﴿أَنقَضَ﴾ إلى الضمير العائد على الوِزر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ مجاز عقليٌّ[1]، وهو إسناد للسَّبب الحامل[2]، وفيه تشبيه الوزر بشخص يقوم قام بفعل ﴿أَنقَضَ﴾، فحذف المشبّه به وذكر لازم من لوازمه وهو الفعل على سبيل الاستعارة المكنية، بغرض تشخيص المعنى، وتصوير معناه.

نوع الإضافة ودلالتها:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿ظَهۡرَكَ﴾ لاميَّة، فتفيد تفخيم الامتنان وزيادة التَّشريف، ببيان أنَّ المثقَل هو ظهره لا ظهر غيره، وذلك أدعى للشُّكر بعد الإخبار بوضع الوِزر.

بلاغة الاستعارة التَّمثيليَّة:

تصوير الوزر بالحمل الشديد يزيد منّة الإكرام والتشريف

معنى فعل ﴿أَنقَضَ﴾ جعل الشَّيء ذا نقيض، والنَّقيض: صوت صرير المحمل والرَّحل، وصوت عظام المفاصل وفرقعة الأصابع، وتعدية ﴿أَنقَضَ﴾ إلى الظَّهر تبع لتشبيه المشقَّة بالحِمل، فالتَّركيب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 410.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 389.

تمثيل لمتجشّم المشاقِّ الشَّديدة بالحُمولة المثقَلة بالإجمال تثقيلًا شديدًا حتى يُسمع لعظام ظهرها فرقعةٌ وصرير، وهو تمثيل بديع؛ لأنَّه تشبيهٌ مركَّب قابل لتفريق التَّشبيه على أجزائه، ووصفُ الوِزر بهذا الوصف تكميل للتَّمثيل بأنَّه وِزر عظيم[1].

معنى واو العطف:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ للعطف، والجملة معطوفة على ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ باعتبار أنَّ مآله الإثبات، والمعنى: قد شرحنا لك صدرك، ورفعنا لك ذكرك.

بلاغة الاستعارة في لفظ الرَّفع:

وضـوح رفـعة شأن النَّبيِّ ﷺ لكلِّ عاقل

عبَّر بمفردة الرَّفع في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ لزيادة تفخيم ذكر النَّبيِّ ﷺ، ببيان منزلته الرَّفيعة، وأنَّه استحقَّ بالنبوّة الفضل العظيم، والشرف الكبير، وقد شُبِّه إعلام البشر والملائكة والجن بمنزلة النبي ﷺ بالرفع، والرفع يكون للمحسوسات، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، بغرض تمكين المعنى في العقول، وتثبيته في النفوس.

معنى اللّام في ﴿لَكَ﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ للتَّعليل، فتفيد أنَّ رفع الذِّكر لأجل النَّبيِّ ﷺ، وفي ذلك ما لا يخفى من التَّنبيه على محبَّة الله لنبيِّه، وتقريبه له.

غرض تقديم ﴿لَكَ﴾:

رفع الذِّكر خاصٌّ بالنَّبيِّ ﷺ

قدِّم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ على المفعول الصَّريح في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ للعناية بالمقدَّم والتَّشويق للمؤخَّر، والتَّنبيه على الخصوصيَّة، والمعنى: ورفعنا لك خاصَّة ذكرك رفعة تتلاشى عندها رفعة غيرك من الخلق كلِّهم[2].

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 494 - 495، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 410.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 120.

بلاغة الإطناب بذكر ﴿لَكَ﴾:

التفصيل بعد الإجمال تقوية للمعنى وتثبيت للمقصود

آثر النّظم الكريم ذكر الجار والمجرور كالسابق في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، ولم يُقل: (ورفعنا ذكرك)؛ لسلوك طريقة الإبهام بغرض التَّشويق؛ فإنَّه لمّا ذكر فعل ﴿وَرَفَعْنَا﴾ علم السّامع أنَّ ثمَّ مرفوعًا، فلمّا وقع قوله: ﴿لَكَ﴾ قويَ الإبهامُ، فازداد التَّشويق؛ لأنَّ ﴿لَكَ﴾ يفيد معنى: شيئًا لأجلك، فلمّا وقع بعده قوله: ﴿ذِكْرَكَ﴾ تعيَّن المرفوع المترقَّب، فتمكَّن في الذِّهن زيادةَ تمكُّن[1].

بلاغة الاستعارة في لفظ الذِّكر:

منزلة النَّبيِّ ﷺ ظاهرة لأعين الخلق

أوثر التّعبير بلفظ الذِّكر في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؛ للتَّنبيه على زيادة تشريف منزلة النَّبيِّ ﷺ في العالَمين، ببيان أنَّ منزلته ومرتبته بمنزلة شيء معروف تتداوله الألسنة، ولا يغيب عن العقول والقلوب، والرفع يكون للمحسوسات، ففيه تشبيه الذّكر بشيءٍ يُرفع ليراه جميع النّاس، ففيه استعارة مكنيّة بحذف المشبّه به وذكر لازمٍ من لوازمه وهو الرّفع، وقد أصبح ذكره ﷺ مرفوعًا في كلِّ مكانٍ؛ في الأرض والسماء، لا يخفى ذكره على أحد.

نوع الإضافة ودلالتها:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿ذِكْرَكَ﴾ لاميَّة، فتفيد أنَّ المرفوع ذِكْرُه ﷺ لا ذِكْرُ غيره، وذلك أجلبُ لسروره واغتباطه، وأدعى لشكر نعمة الله تعالى عليه.

بلاغة فنِّ الطِّباق:

وضع الوزر تخلية سابقة لتحلية رفع الذِّكر

في ذكر الرَّفع بعد الوضع في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ لطف لا يخفى[2]، وذلك

(1) الزمخشري، الكشاف: 5/ 321، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 656، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 409 - 410.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 389.

لما فيه من الطِّباق، وإظهار صورة القلّة تعقُبها صورةٌ في أعلى الارتفاع، فوضع الوزر تمهيد لرفع الذِّكر، وما كان الوضع إلّا توطئة للرفع، وما ألطف رفع الذكر بعد وضع الوزر؛ للتّباعد بينهما في المنزلة والمكانة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"